بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد للّه حمداً طيباً مباركاً فيه على كريم جوده، حمداً يحيط بمعاني الثناء على جميع وجوهه، ونشكره سبحانه على نعمه التي لا تحصى ولا تعد على جميع عبيده.

وصلاة اللّه تعالى وسلامه على النَبيِّ الأُميِّ، التقي، النقيِّ، السيد القريب، الوليِّ الحبيب، صاحبِ الخُلق العظيم الذي أرسله ربه ليتمم مكارم الأخلاق، ورضي اللّه تعالى عن آله الأكرمين، وأزواجه الطاهرات المُطهرات أُمهات المؤمنين، وأصحابه الغُرِّ الميامين، وجميع التابعين الطائعين، وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين.

وأشهد أن لا إله إلا اللّه وحده لا شريك له، شهادة مُقرٍّ بربوبيته، عارفٍ بوحدانيته.

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وصفيُه وخليله، اصطفاه لوحيِهِ، وختم به أنبياءه، وجعله حجة على جميع خلقه ﴿لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنۢ بَيِّنَةٍ﴾ [الأنفال: ٤٢] وامتدحه سبحانه في كتابه الكريم، فقال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤].

ثم أما بعد.. اعلم يا أخي ـ وفقك اللّه تعالى ـ أن أول شيء يجب عليك معرفته بعد معرفة اللّه سبحانه، وإفراده تعالى بالوحدانية، هو متابعة النبيِّ ﷺ والاقتداء به.

قال تعالى: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ [النساء: ٨٠].

وقال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢١].

وقد رتَّبَ اللّه سبحانه وتعالى حصول الخيرات في الدنيا والآخرة، وحصول الشرور في الدنيا والآخرة في القرآن العظيم على الأعمال، ترتيب الجزاء على الشرط، والمعلول على العلة، والمسبب على السبب، وهذا في القرآن الكريم يزيد على ألف موضع، ومن أوجب هذه الأعمال طاعة رسول اللّه ﷺ وقد ورد الأمر بذلك في القرآن العظيم في مواضع كثيرة، منها:

obeikandl.com

قول اللَّه سبحانه وتعالى: ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ﴾ [آل عمران: ٣٢].

وقوله تعالى: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾ [النساء: ٥٩].

وقوله تعالى: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ [الأنفال: ٢٠].

وقوله تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾ [النور: ٥٦].

وقوله تعالى: ﴿وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ [الأحزاب: ٣٣].

وجعل سبحانه وتعالى من ثمرة الطاعة ومثوبة الطائعين:

قوله تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [آل عمران: ١٣٢].

وقوله تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [النساء: ١٣].

وقوله تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء: ٦٩].

وقوله تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ [النور: ٥٢].

وقوله تعالى: ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا﴾ [النور: ٥٤].

وقوله تعالى: ﴿فَإِن تُطِيعُوا يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا﴾ [الفتح: ١٦].

وقول سبحانه وتعالى: ﴿وَإِن تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا﴾ [الحجرات: ١٤].

وحذر سبحانه وتعالى من عدم متابعة الرسول ﷺ وإطاعة أمره والتسليم له.

قال سبحانه وتعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥].

وبالجملة فالقرآن العظيم مليء بالحض على الطاعة والتأدُّب مع رسول اللَّه ﷺ. ورأس الأدب معه صلوات اللَّه وسلامه عليه وآله كمال التسليم له والانقياد لأمره وتَلَقِّي خبره بالقبول والتصديق دون أن يحمله معارضة خيال باطل يسمِّيه معقولاً، أو يُقدِّمَ عليه آراء الرجال، فيُوحِّدَه بالتحكيم والتسليم والانقياد والإذعان، كما وحَّد المُرسِلَ سبحانه وتعالى بالعبادة والخضوع والذل والإنابة والتوكل، فهما توحيدان لا نجاة للعبد من عذاب اللَّه تعالى إلا بهما: توحيد المرسِلِ سبحانه، وتوحيد متابعة الرسول ﷺ. ولعمر الحق لقد

كان الإمام الهرويّ نافذ البصيرة حين انتزع منزلة «الأدب» في كتابه القيم: «منازل السائرين» والذي شرحه العلامة ابن القيم وسمّاه: «مدارج السالكين» من قول الحق سبحانه وتعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ﴾ [التحريم: ٦]. قال ابن عباس: «أدّبُوهم وعَلِّمُوهم»(١).

وهذا الكتاب الذي بين يديك: جليل القدر، عظيم النفع، حافل بالعلم القائم على الأصول الصحيحة والفهوم السديدة، جامعاً لمكارم الأخلاق ومعاليها، والذي من شأنه أن يعين على تحقيق سعادة الدارين بكمال متابعة هدى النبي ﷺ في واحد من أهم أمور الدين ألا وهو «الخُلُق» فقد ثبت عنه صلوات الله تعالى وسلامه عليه وآله أنه قال: «بُعِثْتُ لأُتَمِّمَ صالح الأخلاق»(٢).

فكأن مقصود الرسالة المحمدية هو تنمية الإحساس الأخلاقي في بني البشر، وإنارة آفاق الكمال أمام أعينهم حتى يسعوا إليها على بصيرة(٣).

ومن هنا كان التأكيد على الثمرة الأخلاقية لكثير من العبادات بحيث تفارق كونها طقوساً وشعائر مبهمة، وتعمل على تحرير الطاقات الأخلاقية الكامنة في الكينونة الإنسانية فيترقى هذا الكائن في مدارج الكمال الإنساني ويصبح وجوده ذا مغزى عميق تتجلى من خلاله القدرة الإلهية في صياغة المجتمع الفاضل والحياة الكريمة لبني الإنسان، ومن هنا نفهم قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۗ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

وقوله تعالى: ﴿خُذۡ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ صَدَقَةٗ تُطَهِّرُهُمۡ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾ [التوبة: ١٠٣]. إلى غير

---

(١) من مقدمة كتاب الآداب الشرعية لابن مفلح [١/ ٦]، ومدارج السالكين لابن القيم [٢/ ٣٧٥]، ومكارم الشريعة للأصفهاني [ص: ١١١].

(٢) رواه أحمد في المسند [٢/ ٣٨١] عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه، وقال الأرناؤوط: صحيح، وهذا إسناد قوي، رجاله رجال الصحيح، غير محمد بن عجلان، فقد روى له مسلم متابعة، وهو قوي الحديث.

قال ابن عبد البر في التمهيد [٢٤/ ٣٣٢] قوله: «لأُتَمِّمَ صالح الأخلاق» يدخل في هذا المعنى الصلاح والخير كله، والدين والفضل والمروءة والإحسان والعدل، فبذلك بُعث ليتممه، وقد قالت العلماء: إن أجمعَ آيةٍ للبر والفضل ومكارم الأخلاق قوله عزّ وجلّ: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠].

(٣) انظر «خُلق المسلم» للشيخ محمد الغزالي رحمة الله تعالى عليه [ص: ٦].

ذلك من الآيات التي تؤكد على المغزى الأخلاقي والروحي للعبادات والشعائر.

فإذا كان ذلك كذلك، فاعلم أن هناك علاقة وثيقة جدًّا بين الدين والأخلاق[١]. وأن الأخلاق إنما هي دين تحول إلى قواعد للسلوك، أي: تحول إلى مواقف إنسانية تجاه الآخرين وفقاً لحقيقة الوجود الإلهي[٢].

والمتأمل لأحوال المسلمين الآن يدرك ببصيرته النافذة ما آلت إليه الأخلاق من تراجع وانحلال، مما حدا بالكثير من العلماء إلى تصنيف الكتب التي تعالج كثيراً من المفاسد الأخلاقية الناشئة عن ضعف التمسك بالدين.

ويأتي في طليعة هؤلاء العلماء الأجلاء الذين تصدوا بقولهم وسلوكهم لتوجيه الناس إلى أصول الأخلاق ومحاسن الفضائل ومداواة النفوس في عصرنا هذا المليء بالمناهج الهدَّامة التي تقدم العقل على النقل، والفساد الأخلاقي الذي أفضى إلى خور العزائم، والنكوص عن متابعة هدي أكمل الخلق صلوات الله تعالى وسلامه عليه وآله.

فضيلة العارف بالله الشيخ الإمام
«محمد متولي الشعراوي»

شيخ الزمان، وترجمان القرآن، الذي ملأ الدنيا بنور القرآن، وجمع الناس على ذكر الله وتلاوة كتابه وصرفهم عن لهو الدنيا، وبذل جهوداً عظيمة في سبيل تصحيح المفاهيم، ورد شبهات الطاعنين في القرآن العظيم، وتصدى بحزم وقوة لهؤلاء الجهلانيين، وأبدع رضي الله تعالى عنه في الاستنباط من القرآن الكريم، وجهر بالحق في وجه كل من حاد عنه، فكان رحمة الله تعالى عليه في هذا العصر «أمة وحده» جمع الله فيه كل فضائل الخير، وخلف لنا تفسيراً للقرآن الكريم من أصح كتب التفسير وأشملها، كتب في مقدمته:

«... فهذا حصاد عمري العملي، وحصيلة جهادي الاجتهادي، شرفني فيه أني عشقت كتاب الله، وتطامنت لاستقبال فيض الله، ولعلي أكون قد وفيت حق إيماني، وأديت واجب عرفاني»[٣].

فالزم يا أخي الأدب، وفارق الهوى والغضب، واعمل في أسباب التيقظ،

---

(١) مقدمة كتاب الآداب الشرعية لابن مفلح [ص: ٨، ٩].

(٢) الإسلام بين الشرق والغرب، علي عزت بيجوفتش [ص: ١٩٣].

(٣) كلمة بخط الشيخ رضي الله تعالى عنه في مقدمة تفسير الشعراوي ـ دار أخبار اليوم.

واتخذ الرفق حزباً، والتأني صاحباً، والسلامة كهفاً، والفراغ غنيمة، والدنيا مطية، والآخرة منزلاً.

قال الحسن رضي اللّه تعالى عنه: إن اللّه تعالى لم يجعل للمؤمن راحة دون الجنة.

واحذر مواطن الغفلة، ومخاتل العدوّ وطربات الهوى، وضراوة الشهوة وأمانيّ النفس، فإن رسول اللّه ﷺ قال: «أعدى أعدائك نفسك التي بين جنبيك»(١). وإنما صارت أعدى أعدائك لطاعتك لها.

وكل أمر لاح لك ضوؤه بمنهاج الحق، فاعرضه على الكتاب والسنة والآداب الصالحة فإن خفي عليك أمر فخذ فيه رأي من ترضى دينه وعقله.

واعلم أن على الحق شاهداً بقبول النفس له، ألا ترى قول رسول اللّه ﷺ: «استفتِ قلبك وإن أفتاك المُفتون»(٢) وقيد الجوارح بأحكام العلم، وراع همك بمعرفة قرب اللّه منك، وقم بين يديه مقام العبد المستجير: تجده رؤوفاً رحيماً.

وقال رسول اللّه ﷺ: «إن اللّه عزّ وجلّ ينزل العبد من نفسه بقدر منزلته منه»(٣). وذلك على قدر الخشية للّه، والعلم به، والمعرفة له.

واعلم أنه من آثر اللّه آثره، ومن أطاعه فقد أحبه، ومن ترك له شيئاً لم يعذبه

---

(١) رواه البيهقي في الزهد بإسناد ضعيف، وراجع كشف الخفاء [١/ ١٤٣]، وتخريج أحاديث الإحياء للعراقي [٨/ ٧].

(٢) رواه أحمد في المسند [٤/ ٢٢٨]، والدارمي [٢/ ٢٤٥، ٢٤٦]، وأبو يعلى [٣/ ١٦٠ ـ ١٦٢] عن وابصة بن معبد رضي اللّه تعالى عنه، ولفظ أحمد: «يا وابصة جئت تسأل عن البر والإثم». قلت: نعم.
قال: فجمع أصابعه فضرب بها صدره وقال: «استفتِ نفسك واستفتِ قلبك ثلاثاً، البِرُّ ما اطمأنت إليه النفس واطمأن إليه القلب، والإثم ما حاك في النفس وتردد في الصدر، وإن أفتاك الناس».
ولفظ: «أفتاك المُفتون» هنا ذكره البخاري في التاريخ الكبير، وانظر تعليق الشيخ عبد الفتاح أبو غدة رحمة اللّه تعالى عليه على رسالة المسترشدين للإمام المحاسبي [ص: ٨٤].

(٣) جزء من حديث ورد في فضل ذكر اللّه عزّ وجلّ بنحو هذا اللفظ، قال المنذري في الترغيب [٣/ ٦٥]، [٥/ ٥٣٤] رواه ابن أبي الدنيا، وأبو يعلى، والبزار والطبراني، والبيهقي وقال: صحيح الإسناد، وفي أسانيدهم كلهم عمر مولى غُفرة. ضعفه ابن معين والنسائي، وقال أحمد: ليس به بأس، لكن أكثر حديثه مراسيل، وقال ابن سعد: ثقة كثير الحديث، وبقية أسانيدهم ثقات مشهورون محتج بهم، والحديث حسن، واللّه أعلم.

به، كما قال رسول اللَّه ﷺ: «دع ما يريبك إلى ما لا يريبك»[(١)]. فإنك لن تجد فقد شيء تركته للَّه.

واحْمِ القلب عن سوء الظن بحسن التأويل، وادفع الحسد بقصر الأمل، وانفِ الكبرَ باستبطان العِزّ، واترك كل ما فِعْلُه يضطرُّك إلى اعتذار، وجَانِبْ كل حال يَرْمِيك في التكلف، وصُنْ دينك بالاقتداء واحفظ أمانتك بطلب العلم، وحَصِّنْ عقلك بآداب أهل الحلم، واستعدّ بالصبر لكل موطن، والزم الخلوة بالذكر، واصحب النعم بالشكر.

واستعن باللَّه في كل أمر، واستَخِرْ اللَّه في كل حال، وما أرادك اللَّه له فاترك الاعتراض فيه، وكل عمل تحب أن تلقى اللَّه به فألْزِمْهُ نفسك، وكل أمر تكرهه لغيرك فاعتزله من أخلاقك. وكل صاحب لا تزداد به خيراً في كل يوم فانبذ عنك صحبته. وخذ بحظك من العفو والتجاوز.

واعلم أن المؤمن يختبر صدقه في كل حال، مُطَّلَبُ نفسه بالبلوى، رقيب للَّه على نفسه. فأثبت على محجة الحق فإنك مراد العون.

واصدق في الطلب تَرِثْ علم البصائر، وتَبْدُ لك عيون المعارف، وتَمَيَّزْ بنفسك على ما يَرِدُ عليك بخالص التوفيق، فإنما السَّبْقُ لمن عمل، والخشية لمن علم، والتوكل لمن وثق، والخوف لمن أيقن، والمزيد لمن شكر[(٢)].

هذا ما أردت أن أتقدم به بين يدي هذا الكتاب الجامع الذي يحتاج إليه كل عالم وعابد بل وكل مسلم لما فيه من الآداب الشرعية والحِكم القرآنية.

وهذا الكتاب الغرض الأول منه تربية الناشئة والشباب على مكارم الأخلاق وفضائل الأعمال والتحذير من مساوئ الأخلاق والأعمال.

فإنما الأُمَمُ الأخلاقُ ما بَقِيَتْ فإن هُمُ ذَهَبَتْ أخلاقهم ذهبوا[(٣)]

جمعت غالب مادته من خواطر ودروس فضيلة العارف باللَّه الشيخ محمد متولي

---

(١) جزء من حديث رواه أحمد في المسند [١/ ٢٠٠]، والترمذي [٢٥١٨]، وقال: حسن صحيح. وصححه الألباني.

(٢) رسالة المسترشدين للمحاسبي [ص: ١٢ ـ ١٥].

(٣) القائل هو أمير الشعراء أحمد شوقي في قصيدة بعنوان: الشعب والقوم، وفيها:

هل عَلِمْتُم أُمَّةً في جَهْلِها؟ ظَهرَتْ في المجدِ حَسْناءَ الرداءِ؟

باطنُ الأمَّةِ من ظاهرِها إنَّما السائلُ من لَونِ الإناءِ =

الشعراوي رحمة اللّه تعالى عليه والجزء الآخر من تسجيلات وحوارات مع فضيلته، تم شرحها والتعليق عليها وتبويبها، وإضافة ما قصرت عنه المادة من الكتب الأخرى إتماماً للنفع ولعموم الفائدة، كمؤلفات شيخ الإسلام ابن تيمية، وابن القيم، والإمام القرطبي، وابن كثير، وابن حجر العسقلاني، والرازي، والشنقيطي وغيرهم.

وتخريج أحاديثها والحكم عليها من خلال كتب الجرح والتعديل، وكتب العلماء التي صنفت الصحيح والضعيف. مع الاستفادة بالكتب المحققة من قبل علماء الحديث وذلك بمعرفة مركز التراث لخدمة الكتاب والسنة.

جزى اللّه الجميع خيراً، وجعل كل ذلك في ميزان حسناتهم.

واللّه اسأل حُسن القصد والنية وأن ينفع به كاتبه وقارئه وناشره، وأن يجعله سبحانه عامَّ النفع والبركة، وأن يجزل خير الجزاء لشيخنا الراحل جزاء ما قدم، وأن يخلفه في آله أعزهم اللّه تعالى وبارك فيهم، إنه سبحانه نعم المولى ونعم النصير وبالإجابة جدير.

وصلى اللّهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

وآخر دعوانا أن الحمد للّه رب العالمين.

ذو القعدة ١٤٢٣

يناير ٢٠٠٣

عبد اللّه حجاج

= فَخُذُوا العِلمَ على أعْلَامِهِ ... واطلُبُوا الحِكْمَةَ عند الحُكَمَاءِ

واقْرَأُوا تاريخَكُم واحتَفظُوا ... بفَصِيحِ جَاءَكُم مِنْ فُصَحَاءِ

واحكُمُوا الدُّنيا بسُلْطَانِ فَمَا ... خُلِقَت نُضرَتُهَا للضُّعَفَاءِ

واطلبوا المجدَ على الأرضِ فإنْ ... هِيَ ضاقَتْ فاطْلبوه في السَّمَاء

وإنما الأُمَمُ الأخلاقُ ما بَقِيَتْ ... فإن هُمُ ذَهبَتْ أخلاقُهُم ذهبوا

وإنَّما الأُمَم الأخلاقُ ما بَقِيَتْ ... فإن تَوَلَّتْ مَضُوا في إثْرِهَا قُدُمَا

فَمَا عَلى المَرْءِ في الأخلاقِ من حَرَجٍ ... إذا رعى صلةً في اللّه أوْ رَحِما